

## عقبات ترجمة العهد القديم إلى العربية: هل اغتصب حمور دينه؟ نموذجاً - أحمد أشقر

مجلة التراث والمجتمع العدد 49 - أحمد أشقر - 2009/01/15م - 09:20 ص

عقبات ترجمة العهد القديم إلى العربية: هل اغتصب حمور دينه؟ نموذجاً



### مقدمة

إلى مجزرة [...].. لكن هيهات... إن فتية العرب لهم بالمرصاد!)  
الترجمة ليست نقل نصّ من لغة إلى أخرى فقط. فهذه "الترجمة" غير موجودة أصلاً، ولا يمكن أن تتوجد بتاتاً! والترجمة هي محاولة لحوحة للوصول بالنصّ الأصلي إلى نصّ جديد شبيهه مطابق للنصّ الأصلي. إنها محاولة مضطربة وإشكالية، لأن مواقف وقيم المترجمين تتسرب إلى النصّ الأصلي، المترجم إلى نصّ جديد شبيهه مطابق. وقد أخبرنا صاحب كتاب "الحيوان"، الجاحظ، قائلاً: "ومتى وجدنا [الترجمان] قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما [إليهما]، لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها وتعترض عليها".

مثلما النصوص والمؤلفات الإبداعية المختلفة، درجات وطبقات من حيث المستويات الفنية والمضمون والأصالة، كذلك الترجمة. أي أن المترجمين درجات وطبقات من حيث المستوى والقدرة على تحويل النصّ إلى آخر شبيهه مطابق. قد نجد ترجمات قد أحسنت إلى النصّ الأصلي، ونجد العكس أيضاً.

إذا قلنا إن الترجمة، هي محاولة مضطربة وإشكالية، فإننا بالتأكيد سنقول: إن أكثرها اضطراباً وإشكالية، هي ترجمة النصوص الدينية، لأن هذه النصوص مقدسة لدى أتباعها ومقدوح بها لدى خصومها وأعدائها. وإذا خرجنا ....

## عقبات ترجمة العهد القديم إلى العربية:

### هل اغتصب حمور دينه؟ نموذجاً

أحمد أشقر\*

لذكرى منصور كردوش (1921-1998)

وصالح برانسي (1928-1999) اللذين اعتقدا

حتى آخر يوم في حياتهما، أن مجزرة أخو دينه

بأقارب حمور بن شخيم، ما هي إلا حلقة بدأت

"منذ مقتل المصري في الوادي"...

إلى مجزرة [...].. لكن هيهات... إن فتية العرب لهم بالمرصاد!

الترجمة ليست نقل نصّ من لغة إلى أخرى فقط. فهذه "الترجمة" غير موجودة أصلاً، ولا يمكن أن تتوجد بتاتاً! والترجمة هي محاولة لحوحة للوصول بالنصّ الأصلي إلى نصّ جديد شبيهه مطابق للنصّ الأصلي. إنها محاولة مضطربة وإشكالية، لأن مواقف وقيم المترجمين تتسرب إلى النصّ الأصلي، المترجم إلى نصّ جديد شبيهه مطابق. وقد أخبرنا صاحب كتاب "الحيوان"، الجاحظ، قائلاً: "ومتى وجدنا [الترجمان] قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما [إليهما]، لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها وتعرض عليها".

مثلما النصوص والمؤلفات الإبداعية المختلفة، درجات وطبقات من حيث المستويات الفنية والمضمون والأصالة، كذلك الترجمة. أي أن المترجمين درجات وطبقات من حيث المستوى والقدرة على تحويل النصّ إلى آخر شبيهه مطابق. قد نجد ترجمات قد أحسنت إلى النصّ الأصلي، ونجد العكس أيضاً.

إذا قلنا إن الترجمة، هي محاولة مضطربة وإشكالية، فإننا بالتأكيد سنقول: إن أكثرها اضطراباً وإشكالية، هي ترجمة النصوص الدينية، لأن هذه النصوص مقدسة لدى أتباعها ومقدوح بها لدى خصومها وأعدائها. وإذا

\* باحث في مقارنة الأديان.

خرجنا عن ميادين القداسة والقده، لا ينخفض مستوى الاضطراب، بل ندخل إلى ميادين أكثر تعقيداً. وأول هذه التعقيدات، هو السياق التاريخي لتلك النصوص، التي يبتعد بعضها عنا آلاف السنين. هل وكيف يمكن أن يعيش الترجمان تلك الفترة السحيقة من الزمن بتعقيدها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية؟ إنه يحاول الاقتراب منها، ليس إلا. لأن هذه التعقيدات مجتمعة تتكثف في اللغة. وقد عبّر كل من ماركس (1818-1883) وإنجلز (1820-1895) عن هذا بقولهما: "اللغة قديمة قدم الوعي، واللغة وعي عملي حقيقي يوجد بالآخرين كما يوجد عند البعض أيضاً، واللغة- مثل الوعي- تنشأ عن الحاجة والضرورة للاتصال بالآخرين من الناس [...]". أما رومان جاكبسون، الباحث والمنظر في علم الاتصال واللغة، فقد خلّص إلى ضرورة: "يجب بحث اللغة". وللغة أيضاً تعقيدها: أصلها، سيوسولوجيتها، سيكلوجيتها وفقهها. واللغة/ الوعي مليئة بالتصريح والتلميح والمجاز، الذي هو أهم مستوياتها. والمجاز بحسب ابن رشيق القيرواني (ت 1064) "يحتمل وجوه التأويل" (المختلف عليه بين فقهاء الأديان). وبما أننا بصدد البحث في قصة من قصص "التناخ"- المسمى القصص التوراتي- لا بد لنا من الإشارة إلى أن أول من أدخل البحث المجازي إلى هذا الحقل، هو اليهودي الهولندي باروخ سبينوزا (1632-1677) في القرن السابع عشر. وكانت المستشرقة حافا لزاروس يافه (1930-1998)، المختصة بالغزالي وابن حنبل، قد أشارت إلى أن سبينوزا قد استعار منهج قراءة "التناخ"، قراءة مغايرة نقدية، من الفلاسفة العرب المسلمين الأندلسيين. ويمكن الإضافة هنا، أن عائلة سبينوزا كانت ضمن المطرودين من الأندلس بعد أن تمكنت الحركة الوطنية في إسبانيا من تحرير البلاد؛ وقد تأثر المتقفون اليهود (عائلة سبينوزا) بالمدرسة الرشدية في التفكير والبحث. ويجب التأكيد على أن أول من قرأ القرآن قراءة جديدة، نقدية، في الفكر الإسلامي هم المعتزلة، وابن رشد (1126-1198) كان معتزلياً في منهجه الخاص في البحث القرآني. والسؤال هو: هل

بإمكان المترجم أن يفقه ويعي هذه العناصر المجتمعة المتشابكة بدقة؟! إنه يحاول فقط. وإذا اقترب المترجم من الكمال المهني، هل بإمكانه أن ينسلخ عن البيئة التي تسهم بتشكيل وصياغة شخصيته، التي دفعته إلى امتحان الترجمة؟! إنه يحاول فقط. وبكلمات أخرى: الترجمة هي محاولة لحوحة ومضطربة للوصول بالنصّ الأصلي إلى نصّ جديد شبيه مطابق، في السياق التاريخي المعطى موضوعياً.

### عقبات ترجمة العهد القديم:

يواجه مترجمو "التناخ" العرب مجموعتين أساسيتين من العقبات،

موضوعية وذاتية:

#### 1- العقبة الموضوعية:

أ- بات من المؤكد أن العهد القديم كُتب بلغة "ميتة مجهولة القواعد وكثير من المفردات المستعصية، حتى يومنا هذا، على الفهم" كما يؤكد زياد منى؛ الأمر الذي يزيد عملية الترجمة تعقيدات وتخمينات، قد لا تكون من اللغة الأصلية. وهذه اللغة الميتة، هي لغة أهل البلاد الأصليين "سفت كنعن/ شفة كنعان" كما يرد في سفر (يشعياهو) "التناخي". أي أنها إحدى اللهجات الكنعانية. وتم تدوين وإعادة تحرير "التناخ"، وفقاً لمصلحة المجموعة التي تتبوأ السلطة بين اليهود (وأعدائهم) مرات عدّة، كما يشير إلى ذلك فلهاوزن (1844-1918) وكمال الصليبي وزياد منى. ولدينا الآن نسختان أساسيتان منه؛ الأولى المتداولة بين اليهود والمسيحيين، والثانية المتداولة بين السامريين، التي تشتمل على الأسفار الخمسة الأولى فقط وتسمى Pentateuch، وباللغة "السامرية" وهي "لهجة آرامية"، بحسب أنيس فريخة، التي هي غير اللغة المكتوب بها "التناخ" اليهودي-المسيحي. كان الأستاذ حسيب شحادة، المحاضر والباحث في اللغات السامية في جامعة هلسينكي في فنلندا، قد أتم، بعد أكثر من عقدين من الزمن في البحث الجاد والمتواصل، تحقيق ترجمة التوراة السامرية إلى العربية والعبرية، والتقديم لها في مجلدين هامين للغاية، صدر الأول في العام 1989، والثاني في العام 2001.

ب. كانت الدراسات "التناخية" قد ازدهرت في فترة المد الاستعماري في الوطن العربي، التي هدفت إلى إيجاد مبررات تاريخية دينية للاستعمار "اليهودي-الصهيوني" في فلسطين. نتيجة الدراسات والحفريات والمكتشفات واللقيّات الأثرية، اتضح أن القصة "التناخي" ليس أصيلاً، وإنما أصله تراث شعوب المنطقة. وما القصة هذا إلا ما تمكنت جمعه القبائل اليهودية الراحلة من الشعوب والأقوام التي عاشت بين ظهرانيتها. وبما أن الفكر المسيحي والحركة اليهودية الصهيونية سيطرا على هذه الأبحاث. كانت نتائجها أيديولوجية ("وعياً زائفاً"، بحسب ماركس)، أي لا يزال فهمنا "للتناخ" ناقصاً وغير موضوعي إلى أبعد الحدود.

ج. من الممكن أن تسهم "الفائف البحر الميت/ قمران" لو فتحت لجمهور الباحثين في هذا الحقل، في حل بعض الإشكاليات وصعوبات البحث "التناخي". إلا أن سيطرة "إسرائيل" السياسية عليها، وفتحها تحت رقابة شديدة، وتأمّر "إسرائيل" والكنيسة الكاثوليكية على إتلاف بعض الفائف، كما يؤكد أحمد عثمان، يمسّ بالبحث العلمي "للتناخ" واليهودية (والمسيحية أيضاً) ومحاولة الاقتراب من الحقيقة التاريخية.

## 2- العقبة الذاتية:

أ- العرب الذين قاموا بترجمة العهد القديم إلى العربية، هم مسيحيون مؤمنون متدينون ممن لهم باع طويل في الأدب والنحو والصرف العربيين، إضافة إلى معرفتهم وإطلاعهم الواسع وإيمانهم وتدينهم المسيحي. وبما أن المسيحيين يؤمنون أن "التناخ" مهّد لمجيء يسوع المسيح، أي أنهم يفهمونه على ضوء إيمانهم، لهذا يسمونه العهد القديم، الذي مهد للعهد الجديد المسيحي. أي أنهم يفهمونه فهماً مسيحياً، وقد فعلوا بما يخص يسوع المسيح وأمه مريم، وكما يؤكد زياد منّي: "تعقيب تأويلي أو قولبة دينية Exegetical Elaboration"، أي قراءة بأثر رجعي، قراءة الماضي على ضوء أفكار ومصالح الحاضر. أي أن الترجمة ليست موضوعية ومحيدة. لذا يقرأ العرب "التناخ"/ العهد القديم، ترجمةً منطلقها الإيمان المسيحي العام. هذا

عدا اختلافات الترجمة بين الطوائف المتعددة والمختلفة. بكلمات أخرى: تُحسن هذه الترجمات إلى اليهودية، فهي تحاول إخراجها من إطار القبيلة إلى الإطار الإنساني، ومن عائلة الديانات النارية وإدخالها إلى عائلة الديانات المائية. إنها محاولة فقط.

ب- وبالطبع، هناك ميزة هامة للمترجمين العرب لا يتميز ويمتاز بها غيرهم من المترجمين إلى اللغات الأخرى، لأن اللغة العبرية "التناخية"، واللغة العربية، هما من أصل واحد فالعديد من قواعد النحو والصرف واحدة، ناهيك عن تشابه الكلمات بين اللغتين - إن جاز التعبير - حتى ليندر وجود كلمة بلغة وعدم وجودها باللغة الأخرى.

مما تقدم نفهم وندرك صعوبة (وأحيانا سهولة) قراءة وفهم "التناخ"/العهد القديم باللغتين العبرية (المعاصرة) والعربية. وفي القسم التالي من هذا المقال، سوف أحاول قراءة حادثة "اغتناب حمور دينه"، كما تؤكد تفاسير "التناخ"/العهد القديم والترجمات العربية له. قلبي، هذا، لن يكون القول الفصل في هذا المجال، وإنما محاولة نقدية لقراءة علاقة (حمور) بـ(شخيم) و(دينه)، وهل هم أسماء علم أم ماذا؟ ومحاولتي وصول الحقيقة، شبيهة بـ"أمل إبليس بالجنة"!

#### اغتناب حمور دينه؟!

ترد قصة "اغتناب حمور دينه" في الإصحاح الرابع والثلاثين من "سفر برعشيت/ سفر التكوين"، أحد الأسفار المكونة لل"تناخ". والقصة مكتفة نكتيفا عاليا، وملينة بالخروق غير المنطقية. دعونا نقرأها بالكامل: "وَحَرَجَتْ دِينَه ابْنَةُ لِهءِ الَّتِي وَلَدَتْهَا لِيَعْقَب لِيَسْتَبْصِرَ بِنَاتِ الْبَلَدِ. فَرَأَاهَا شَكِيمُ ابْنُ حَمُورِ الْحُوي، زعيم البلد، فَأَخَذَهَا وَأَضْطَجَعَ مَعَهَا وَعَذَّبَهَا. وَتَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِدِينِهِ ابْنَةِ يَعْقَبِ وَأَحَبَّ الْفَتَى [في الأصل "التناخي" فتى، وليس فتاة] وَلَاطَفَهَا. فَقَالَ شَخِيمُ لِحَمُورِ أَبِيهِ: "خُذْ لِي هَذِهِ الصَّبِيَّةَ زَوْجَةً". وَسَمِعَ يَعْقَبُ أَنَّهُ نَجَسَ دِينَه ابْنَتَهُ. وَأَمَّا بَنُوهُ فَكَانُوا مَعَ مَوَاشِيهِ فِي الْحَقْلِ فَسَكَتَ يَعْقَبُ حَتَّى جَاءُوا. فَخَرَجَ حَمُورُ أَبُو شَخِيمِ إِلَى يَعْقَبِ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ. وَأَتَى أَبْنَاءُ

عَقِبَ مِنَ الْحَقْلِ حِينَ سَمِعُوا. وَغَضِبَ الرَّجَالُ وَاغْتَاظُوا جِدًّا لِأَنَّهُ صَنَعَ  
 سَفَالَةً فِي يَسْرَعِ بِمُضَاجَعَةِ ابْنَةِ يَعْقَبَ. وَهَكَذَا لَا يُصْنَعُ. وَقَالَ لَهُمْ حَمُورُ:  
 "شَخِيمُ ابْنِي قَدْ تَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِابْنَتِكُمْ. أَعْطُوهُ إِيَّاهَا زَوْجَةً وَصَاهِرُونَا. تَعْطُونَنَا  
 بَنَاتِكُمْ وَتَأْخُذُونَ لَكُمْ بَنَاتِنَا وَتَسْكُنُونَ مَعَنَا وَتَكُونُ الْبِلَدُ قُدَّامَكُمْ. اسْكُنُوا  
 وَاتَّجِرُوا فِيهَا وَتَمْلِكُوا بِهَا". ثُمَّ قَالَ شَخِيمٌ لِأَبِيهَا وَإِخْوَتِهَا: "دَعُونِي أَجِدُ نِعْمَةً  
 فِي أَعْيُنِكُمْ، فَالَّذِي تَقُولُونَ لِي أُعْطِي. كَثُرُوا عَلَيَّ جِدًّا مَهْرًا وَعَطِيَّةً فَأَعْطِي  
 كَمَا تَقُولُونَ لِي. وَأَعْطُونِي الْفَتَاةَ زَوْجَةً". فَاجَابَ أَبْنَاءُ يَعْقَبَ شَخِيمَ وَحَمُورَ  
 أَبَاهُ بِمَكْرٍ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ نَجَسَ دِينَهُ أُخْتَهُمْ: "لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ هَذَا الْأَمْرَ أَنْ  
 نُعْطِيَ أُخْتَنَا لِرَجُلٍ أَغْلَفَ لِأَنَّهُ عَارٌ لَنَا. غَيْرَ أَنَّنَا بِهِذَا نَوَاتِيكُمُ: إِنْ صَرْتُمْ  
 مِثْلَنَا بِخَتْنِكُمْ كُلِّ ذَكَرٍ. نُعْطِيكُمْ بَنَاتِنَا وَتَأْخُذُ لَنَا بَنَاتِكُمْ وَتَسْكُنُ مَعَكُمْ وَتَصِيرُ  
 جَمَاعَةً وَاحِدَةً. وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لَنَا أَنْ تَخْتَنُوا نَأْخُذُ ابْنَتَنَا وَنَمْضِي". فَحَسَنَ  
 كَلَامُهُمْ فِي عَيْنِي حَمُورَ وَفِي عَيْنِي شَخِيمَ بِنِ حَمُورَ. وَلَمْ يَتَأَخَّرِ الْعِلَامُ أَنْ  
 يَفْعَلَ الْأَمْرَ لِأَنَّهُ كَانَ مَسْرُورًا بِابْنَةِ يَعْقَبَ. وَكَانَ أَكْرَمَ جَمِيعِ بَيْتِ أَبِيهِ. فَاتَى  
 حَمُورَ وَشَخِيمَ ابْنَهُ إِلَى بَابِ مَدِينَتِهِمَا وَقَالَ لِأَهْلِ مَدِينَتِهِمَا: "هُؤُلَاءِ الْقَوْمُ  
 مُسَالِمُونَ لَنَا. فَلْيَسْكُنُوا فِي الْبِلَدِ وَيَتَّجِرُوا فِيهَا. وَهُؤُلَاءِ الْأَرْضُ وَاسِعَةٌ  
 الطَّرْفَيْنِ أَمَامَهُمْ. نَأْخُذُ لَنَا بَنَاتِهِمْ زَوْجَاتٍ وَنُعْطِيهِمْ بَنَاتِنَا. غَيْرَ أَنَّهُ بِهِذَا فَقَطْ  
 يُؤَاتِينَا الْقَوْمُ عَلَى السَّكَنِ مَعَنَا لِنَصِيرَ جَمَاعَةً وَاحِدَةً: "بِخْتِنَا كُلِّ ذَكَرٍ كَمَا هُمْ  
 مَخْتُونُونَ. أَلَا تَكُونُ مَوَاشِيَهُمْ وَمَقْتَنَاهُمْ وَكُلُّ بِهِائِمِهِمْ لَنَا؟ نَوَاتِيهِمْ فَقَطْ  
 فَيَسْكُنُونَ مَعَنَا". فَسَمِعَ لِحَمُورَ وَشَخِيمَ ابْنِهِ جَمِيعُ الْخَارِجِينَ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ.  
 وَاخْتَنَ كُلُّ ذَكَرٍ كُلِّ الْخَارِجِينَ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ. فَحَدَّثَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ إِذْ  
 كَانُوا مُتَوَجِّعِينَ أَنَّ ابْنِي يَعْقَبَ شَمْعُونَ وَلَوْيَ أَخُوِي دِينَهُ أَخَذَا كُلَّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ  
 وَأَتَيَا عَلَى الْمَدِينَةِ بِأَمْنٍ وَقَتَلَا كُلَّ ذَكَرٍ. وَقَتَلَا حَمُورَ وَشَخِيمَ ابْنَهُ بَحْدَ السَّيْفِ  
 وَأَخَذَا دِينَهُ مِنْ بَيْتِ شَخِيمَ وَخَرَجَا. ثُمَّ أَتَى ابْنَا يَعْقَبَ عَلَى الْقَتْلَى وَنَهَبُوا  
 الْمَدِينَةَ لِأَنَّهُمْ نَجَسُوا أُخْتَهُمْ. غَنَمَهُمْ وَيَقْرَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ وَمَا  
 فِي الْحَقْلِ أَخَذُوهُ. وَسَبُّوا وَنَهَبُوا كُلَّ ثَرَوَتِهِمْ وَكُلَّ أَطْفَالِهِمْ وَنِسَاءَهُمْ وَكُلَّ مَا  
 فِي الْبُيُوتِ. فَقَالَ يَعْقُوبُ لَشَمْعُونَ وَلَوْيَ: "كَدَّرْتُمَانِي بِتَكْرِيهِكُمَا إِيَّايَ عِنْدَ  
 سُكَّانِ الْبِلَدِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفُورِزِيِّينَ وَأَنَا نَفَرٌ قَلِيلٌ. فَيَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ وَيَضْرِبُونَنِي  
 فَأَبِيدُ أَنَا وَبَيْتِي". فَقَالَ: "انظُرْ رَأْيِيَّةَ يَفْعَلُ بِأَخْتِنَا؟".

منذ بداية قراءتنا القصة نلاحظ أمرا غريبا للغاية، "دينه ابنة لـه التي ولدتها ليعقوب" لماذا لم يقل النص: (دينه) ابنة (يعقوب) من زوجته (لـه)؟ ولفهم هذا الموقف نعود بنا إلى حيثيات علاقة، لا نقول زواج لأنه لم يكن زواجا رسميا، (يعقوب) بـ(لـه). والحادثة كما يخبرنا بها الإصحاحان التاسع والعشرين والثلاثين من السفر ذاته، خلاصتها: أن (بِعَقْب) شغف بـ(رَحَل) ابنة (لَبْن) وأراد الزواج بها. أما مهرها فكان عمل سبع سنوات في خدمة (لَبْن)، فوافق (يعقوب) على ذلك. وعندما حان موعد الزواج، وأحد شروط الزواج بحسب اليهودية، هو العلاقة الجنسية، وفي ليلة الدخلة، وبدلا من إدخال (رحل) إلى مخدع الزوجية مع (يعقوب)، قام (لَبْن) بإدخال ابنته (لـه)، عروسا إلى العريس الموعود... وفي الصباح عرف العريس أنه (لَبْن) قد خدعه، فواجهه قائلاً: "ما هذا الذي فعلت بي! أليس برَحَل خدمت عندك؟ لما خدعتني؟". وعلى ما يبدو أحب (يعقوب) (رحل)، وكي يتزوجها خدم عند (لبن) سبع سنين أخريات.. فتم زواج (يعقوب) بـ(رحل).

نفهم مما تقدم أن علاقة (يعقوب) بـ(لـه) لم تكن علاقة زواج إطلاقاً؛ لأن من شروط الزواج (أيضاً) العقد وموافقة العريس (لا دخل للعرس بهذا)، وقد غابا كلياً من هذا السياق. والسؤال هو: ماهي علاقة (دينه) بهذا؟ وتنمة القصة، هي حيثيات ممارسة (لـه) الجنس مع (يعقوب) وحملها منه وولادة (دينه).

بعد زواج (بِعَقْب) من (رَحَل)، اتفق مثلث العلاقة والزواج على تقاسم الأيام بين (يعقوب) و(لـه)، و(يعقوب) و(رَحَل). ونتيجة لهذه العلاقات البدائية، أنجبت (لـه) و(رَحَل) عدة أبناء وبنات. وفي أحد الأيام، عندما كان (رَعُوبِن)، ابن (لـه)، عائداً من الحقل ومعه لفاح، طلبت (رَحَل) من (لـه) أن تعطيهما منه بعض الشيء. وعلى ما يبدو كانت العلاقة بين الاثنين متوترة، فردت إليها غاضبة: "أقليل أنك أخذت رجلي لوليس زوجي] فتأخذين لفاح ابني أيضاً؟". فردت (رَحَل) مقايضة إياها قائلة: "إذ

يضطج معك الليلة عوضا عن لفاح ابنك". وعندما عاد (يعقب) مساء "خرجت لـه لملاقاته وقالت: "إليّ تجيء لأني استأجرتك بلفاح ابني". ونتيجة لهذه الليلة أنجبت (لـه) (دينه). أي أن (دينه) وُلِدَت نتيجة لعلاقة جنسية، غير كاملة في شرعية الزواج. لـه "يصـءنيت/ العاهرة/ الداشره"

بالطبع لم يرق سلوك (لـه) لمفسري وفقهاء "التناخ". لقد قدح ر.ش.ي (رابي شلمه بن يصحق/ 1040 - 1105)، أحد كبار الفقهاء، بـ(لـه) واصفا إياها، لأنها "خرجت لملاقاته"، بالـ "يصـءنيت/ خارجه". والترجمة العربية لا تفيدنا بشيء، لذا وجب إعادة النص إلى الأصل العبري. والـ"يصـءنيت" هي العاهرة أيضا. وقد تكون الترجمة المثلى هي "الداشره"، الصفة التي تُوصَف بها النساء اللواتي يخرجن لسبب أو آخر عن أطر وقيم المجتمع. و"داشره"، تحمل بطياتها بعض الصفات الإيجابية، مثل قدرة هذه المرأة، التي جنى عليها المجتمع، على التأقلم. وعلى ما يبدو ستلاحق أفعال الأم ابنتها. "وتصيه دينه/ ودشرت دينه"

تبدأ القصة التي نحن بصددنا بالقول: "وتصيه دينه/ وخرجت دينه"... ويستمر ر.ش.ي بالقول "مثل أمها خارجه/ يصـءنيت"، أي "داشره مثل أمها". أما التفسير الأخرى فتجمع على أنها خرجت دون إذن أو علم أهل بيتها. أي "طفست". هذه البداية تؤهلنا لفهم طبيعة سلوكها وعلاقتها بـ(حمور).

ثم يضيف النص: "وشاهدها شيخم بن حمور الحوي وأخذها واضطج معها وعذبها". هل تم الاغتصاب فعلا- بحسب الترجمة العربية؟ مما تقدم نفهم أن هناك شكوكا بصحة التفسير اليهودية والترجمة العربية، وعليه يجب العودة إلى النص الأصلي. "وأخذها" في الأصل "ويَقَحْ عته". والفعل "ويَقَحْ"، يحتمل أكثر من معنى. يمكن فهمه على أنه أخذ الشيء بالتراضي أو عنوة، أو/و علاقة جنسية بالتراضي أو عنوة، أو/و زواجا، أو/ التلاقح؛

لأن الاشتقاق "لوقحين" / "قِيحَه" معناه الزواج في العهد القديم والتلمود. أي أن الحالة "وَيَقَحُّهُ" تحتل أكثر من معنى. وفعلا عندما توجه (حمور) إلى ولده (شخيم)، كي يخطب (دينه)، قال له: "قَحْ- لِي إِبْنُ هَيْلَدَه هَزَتْ لِعِشَه"، ومعناها: زَوَّجني هذه البنت. إذا لماذا عذبتها؟

يساعدنا النص الأصلي على فهم سلوك دينه، فقد كان مشكوكا به، من ناحية السوية الاجتماعية. فمرة يصفها- أي النصّ الأصلي- بـ"تَعَرَّ" ومعناه: فتى (ولم يذكر المؤنث: "تَعَرَّه")، ومرة يذكرها بـ"يَلْدَه" ومعناها: بنت. لماذا؟ بالطبع، أشغل هذان الوصفان المفسرين والفقهاء، وقد أجمعوا أن استعمال "تَعَرَّ" هو للدلال. إلا أنني أعتقد أن هناك سببا آخر: إن سلوكها غير المنضبط اجتماعيا، وخروجها من البيت دون إذن أبيها أو/ وإخوتها، جعل النصّ يصفها بـ"الفتى"، والتي تعادل: المستزلمة والمسترجلة، على اعتبار أن الفتيان دون الفتيات، يحق لهم خرق الضوابط الاجتماعية والخروج من البيت دون إذن، دون أن يتعرضوا في العادة إلى مساءلة، أو وصفهم بصفات سلبية- على العكس، قد تكون هذه الصفات إيجابية. وأما الوصف: يلدَه/ بنت، يحمل في طياته الإقرار أنها لم تكن بالغة اجتماعيا، من ناحية السلوك الاجتماعي مع الرجال.

وبما أنني استبعد عملية الاغتصاب، يمكن تفسير سلوكه كآلاتي: قد يكون (حمور) سادياً (السادية شائعة في العلاقات الجنسية). فبعد أن اتفقا هو و(دينه) على إقامة علاقات جنسية بالتراضي.. ضربها نتيجة لساديته. وقد يكون، وعندما قضت (دينه) وطرا منه، أراد الاستمرار، رفضت فضربها بعنف، وبما أنه شغف بها، عرض عليها الزواج، وعندما رفضت عذّبها. وقد تكون فرية من قبلها، اختلقتها لكي تردّ تهمة الخروج من البيت دون إذن أبيها وإخوتها، وممارسة الجنس مع غريب.. وقد يكون الاغتصاب إدعاءً من قبل محرري النصّ، كي يبرروا المجزرة. لذا وعندما تقدم والد (شخيم) إلى والد (دينه) لخطبتها، تقدم إليه بصورة عادية جدا، لأن أمرا غير شرعي لم يحدث بين ابنه و(دينه). هل يعقل هذا؟! نعم يُعقل، كما سنرى لاحقا! والذي يساعدنا على استبعاد عملية الاغتصاب هو النص

نفسه؛ إختوتها غضبوا لأن (حمور) "ضاجع" أختهم و"دنسها". ولو أن الاغتصاب قد حدث فعلا، لذكر النصّ الاغتصاب صراحة. نذكر: الاغتصاب وعقوبته المذكورين في العهد القديم، والعقوبة هي تعويض أبيها/ أخيها/ زوجها. ولهم الحق الكامل بصرف هذا التعويض كاملا. أما في حالة غيابهم، فقد اختلف الفقهاء.. لكن أخوتها فكروا مليا بما يمكنهم الحصول عليه من "تعويض" نتيجة "للاغتصاب"، مقارنة بما يمكنهم الحصول عليه من المجزرة والاستيلاء على ممتلكات آل (شحم)، كما يخبرنا النصّ.

### هل تمت المجزرة فعلا؟!

يخبرنا النصّ أن (شخيم) شغف بـ"دينة ابنة يعقّب" - سنحلل هذا النسب لاحقا- لذا أرسل والده، (حمور)، كي يخطبها. ويضيف: "سمع يعقّب أن [حمور] دنس دينه". مرة أخرى: لا ذكر لحادثة اغتصاب. والتدنيس هنا أن غريبا/ goy مارس الجنس مع يهودية، إذ لا يجوز لليهودية- حسب الشريعة- أن تمارس الجنس مع غير اليهود إطلاقا. أما التدنيس في اليهودية، ممارسة المرأة الجنس مع غير زوجها، وممارسة الجنس مع زوجها، ليس وفقا لشروط الطهارة. وما غضب إختوتها إلا لهذا السبب، ممارستها الجنس مع غريب. لذا وعندما تقدم (حمور) لخطبتها لولده (شخيم)، ومصاهرة ومشاركة أهلها في الحياة الاجتماعية في البلد، نصب الأخوة مكيدة لآل (حمور) من الذكور، إذ اشترطوا عليه أن يُخْتَنَتُوا. وعندما فعلوا هذا، وفي اليوم الثالث لاختنتانهم، هاجمهم أخوا (دينه)، (شمعون) و(لوي)، وقتلوا جميع المختونين.. سبوا النساء، وسلبوا جميع ممتلكاتهم! هل هذا منطقي؟ بالطبع لا. هل يعقل أن أحدا منهم لم يتمكن من امتشاق سيفه أو رمحه ليقتل واحدا من المهاجمين، أو كليهما؟ هل يعقل أن النساء لم يدافعن عن أنفسهن؟! ويعقل في حالة واحد فقط: إذا كان (شخيم) وأبوه هم كل آله، والمهاجمان فعلا (شمعون) و(لوي)!

لقد ذكرنا أن النص يذكر "دينه ابنة ليه" مرة، وقد شرحنا السبب. ويذكر "دينه ابنة يعقّب" مرة أخرى، لماذا؟ يبدو أن لهذا النسب له طابعه القانوني: سواء كانت (دينه) مغتصبة أو مدنسة، يحق لوالدها مقاضاة

الفاعل؛ لأنها جزء من ممتلكاته بحسب إحدى الوصايا العشر: "لا تشته بيت قريبك: ولا خادمه ولا خادمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك" (خروج 20: 17). وبحسب النص، تم التعويض، بمقتل الذكور وسبي النساء والسطو على جميع ممتلكاتهم.

إن تأكيد النص على المجزرة والسطو على الممتلكات، ينسجم كلية مع العقلية "التناخية" المعادية للآخر عداً مانويًا- رغم رغبة ونية آل (شخيم) بمصاهرتهم ومشاركتهم الحياة الاجتماعية. قد نفهم المجزرة فهما مجازياً، أي العقلية التي تنتج مثل هذه القيم، التي تكره الآخرين إلى درجة إبادةهم.

#### حمور/ حمار ودينه/ حكمها وشخم/السند:

معروف لنا، الباحثون النقادون بالدراسات "التناخية"، أن أسماء العلم، ليست أسماء علم، وإنما صفات لنتيجة صيرورة في القصة "التناخية". لذا بقي أن نشير إلى أن (حمور) كما يكتب في الأصل هو الحمار! ويساعدنا على التمسك بهذه الترجمة، هي صفات التباينة- بحسب النص- ولأنه لم يفهم ويعي عقلية آل (يَعْقَب) وعداءهم لآله.. لذا وصفه النص بـ(حمور) وهي الحمار!

أما (دينه) فهي الأخرى ليست اسم علم. فلو كان اسم علم لكتبت منتهية بالألف، هكذا: (دينا). والذي يساعدنا على هذا هو ذكر اسم العلم (دينا)- هكذا- شائع بالتلمود، ويكتب منتهياً بألف. وإلى يومنا هذا لا يزال اليهود المتدينون يكتبون اسم العلم (دينا) منتهياً بألف. أما غيرهم من اليهود، فيكتبونه دون اعتبار لقاعدة أو خلفية؛ (دينا) و(دينه). أما المعنى (دينه)، فهو مشتق من "دين" الآرامية، ومعناه القانون والعرف والعادات والحكم. فنترجم (دينه) بمعنى حكمها، أو عدالة- بحسب العقلية والشريعة "التناخ" المعادية عداً مانويًا للآخر. وعندما راجعت ترجمات العهد القديم بالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والروسية واليونانية، وجدت أنهم اعتبروا (حمور) و(دينه) اسماً علم. أما القاموس الكتابي اليوناني- إنجليزي فقد نوّه إلى أن معناها: justice التي هي العدالة. ولإقامة العدالة وتثبيتها، هناك أدوات.. ما من واحدة مذكورة في النص. لذا أفضل

ترجمتها: حكمها. والـ justice أصلها لاتيني: juste وتعني الإنسان المستقيم والعدل والصادق- العادي. ويبدو أن أصل الأمور العادية، هي الاستقامة والعدالة والصدق. هكذا كان (شخيم) وأهله أناسا عاديين. أما (شخيم) هو الآخر، فمعناه: الكتف/ السند، وعندما ينهار منطق السند، تنهار المجموعة كلها؛ هذا ما حصل له عندما عرض منطقته العادي- مقابل المنطق التأمري، غير العادي.

وقبل أن نختم مقالنا- الذي ناقشنا فيه قضية ترجمة- لا بدّ من التنويه والإشارة إلى أمر هام؛ إن جميع القصص "التناخي"، والديني عموما، تحمل الرسائل المشفرة أحيانا، والواضحة أحيين أخرى. لذا فإن مغزى القصة ما يأتي: يرفض مؤلفو وكتبة "التناخ" ومفسريه أية علاقة مترنمة مع الآخرين، الأغيار/ goyem ، والتي من شأنها أن تعود بالفائدة على الجميع. لذا آثروا إيادة الآخرين، آل (شخم) و(حمور) والاستيلاء على ممتلكاتهم، بدلا من التعاون الذي اقترحه (شخم) عليهم، عندما ذهب ليخطب (لـه) لابنه (حمور)!

وبعد: هذا المقال ليس إلا ملاحظات ونموذج أولي، في سبيل دراسات "تناخية" أكثر رصانة؛ طبقة أولى من طبقات البحث الذي يسبق الترجمة.





